

الإسرائيليون يفاوضون من موقع ضعيف بعد أن تكلس موقفهم السياسي بحكم أوضاعهم الداخلية والوضع العالمي ، وفقدوا حرية المناورة السياسية ، وأصبحت سياستهم التوسعية البنية على العدوان والضم مرفوضة في العالم كله ، وعاملا يهدد بتصادم المصالح الأمريكية والإسرائيلية. وكانت الدلائل تشير إلى أن كيسنجر استطاع التوصل إلى نقاط لقاء حول الانفكار العابة المتعلقة بانسحاب إسرائيل إلى ما وراء الخط البنفسجي ، وخلق منطقة عازلة تفصل بين الطرفين ، وتحتلها قوات دولية ( يعتبرها السوريون مراقبين دوليين على حين يعتبرها الإسرائيليون قوات طوارئ دولية ) ، وتخفيض حجم القوات على جانبي المنطقة العازلة ، وعودة سكان المناطق التي يتم الانسحاب منها إلى أراضيهم . وتمسك السوريون بضرورة اعتبار الانسحاب الأولي لفصل القوات مرحلة من مراحل الانسحاب الكامل ، على حين اعتبر الإسرائيليون أن هذا الانسحاب هو التنازل الأخير الذي يستطيعون تقديمه دون أن يعرضوا أمنهم للخطر .

ثم ظهرت المشكلة الرئيسية عندما انتقلت المناقشات من الانفكار العامة إلى التطبيق العملي على الأرض . وكان الخلاف يدور حول تحديد خط الفصل . فلقد رأى الإسرائيليون أن الحفاظ على وضع استراتيجي سليم ، وضمن أمن مستوطناتهم في الجولان لا يتحقق إلا إذا احتفظوا بالثلث الثالثة المحيطة بمدينة القنيطرة ، على حين اعتبر السوريون أن استرجاع القنيطرة دون العودة إلى المرتفعات سيجعل خط الفصل متعرجا ، ويجعل القنيطرة المحررة جيبا صفرا تسيطر عليه المرتفعات من ثلاث جهات ( الشمال والجنوب والغرب ) .

والحقيقة أن طبيعة الأرض في هضبة الجولان تعطي المرتفعات الثلاثة أهمية بالغة ، ولا تؤمن لمن يسيطر عليها تفوقا تكتيكا فحسب ، بل تمنحه تفوقا استراتيجيا حاسما . ذلك لأن السطح المستوي لهضبة الجولان ينقطع فجأة عند هذه المرتفعات ويبدأ بعدها بالانحدار غربا باتجاه سهل الحولة . وتشكل مدينة القنيطرة والأرض المحيطة بها امتدادا ( على شكل لسان ) لسطح الهضبة المنبسطة . وهو لسان تحيط به ثلاثة مرتفعات يبدأ بعدها السطح المعاكس لهضبة الجولان . لذا فإن وجود القوات الإسرائيلية على خط المرتفعات

النظر المتقابلة ، وسماع الملاحظات ونقلها السسى المعسكر الآخر . مطبقا خلال هذه الرحلات أسلوبه الخاص في معالجة الازمات . وكان يبدي في كل مرة وبعد كل لقاء مزيدا من التفاؤل بإمكانية التقدم في حل الازمة ، دون أن يصل به التفاؤل إلى التصريح بإمكانية التوصل إلى توقيع اتفاق فصل بين القوات . حتى أن موظفا كبيرا من مرفقي وزير الخارجية الأمريكي ذكر في القاهرة ، في يوم ٥/٦ « أن المفاوضات التي يجريها الدكتور كيسنجر الآن هي أكثر صعوبة ومشقة من المفاوضات التي أنهت حرب فيتنام » .

ولم يترك السوفييت كيسنجر وحده في المنطقة ، فلقد حضر وزير الخارجية السوفييتي أندريه غروميكو إلى دمشق ، ومكث فيها يومي ٥ و ٦ أيار ، وأجرى مع الزعماء السوريين مباحثات مطولة ، صدر على أثرها بيان سوفييتي - سوري يؤكد في إحدى فقراته « أن عملية الفصل بين القوات يجب أن تعتبر خطوة نحو تحقيق الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من كل الأراضي العربية المحتلة ونحو التوصل إلى الحل الشامل والعادل لمشكلة الشرق الأوسط » . وفي السابع من أيار اجتمع وزيراً خارجية الدولتين الأعظمين في قبرص ، وتباحثا في عدد من المسائل المتعلقة بالعلاقات السوفييتية - الأمريكية ، كما تباحثا في فصل القوات على جبهة الجولان ، وإحلال السلام في الشرق الأوسط . وصدر بعد اجتماعهما بيان مشترك يعتبر أن فك الالتحام في جبهة الجولان هو « جزء من القضية العامة لمسألة تحقيق تسوية في الشرق الأوسط » ، ثم غادر غروميكو قبرص عائدا إلى بلاده . وكانت عودته دليلا على أن السوفييت أعادوا طرح تصوراتهم حول الخطوط الرئيسية لحل الازمة ، ثم أخذوا موقف المراقب الحذر المستعد للتدخل في كل لحظة ، وتركوا لوزير الخارجية الأمريكي الفرصة ليحاول من جديد في سبيل التوصل إلى مخرج يرضى به الطرفان .

ولقد كثرت الأنباء حول الاقتراحات، والاقتراحات المعاكسة ، والتعديلات ونقاط اللقاء والخلاف بين وجهتي النظر السورية والإسرائيلية . ومن الواضح أن السوريين أبدوا خلال المفاوضات حنكة ودراية سياسيتين ، وتمسكوا بموقفهم المبدئي المنسجم مع قرارات مجلس الأمن ، على حين كان